

في نور محمد فاطمة الزهراء

فأمّا وقد تنزلت الرسالة على محمد من دونه، فلن يؤمن له، استحياءً – كقوله – من نساء ثقيف أن يقلن: ادعى أنّه الرسول الموعود فلم تصدق دعواه، واصطفى إلّا خيراً منه: رسولًا سواه! أو يقلن، ويقول الناس: اتبع فتيًّا منبني عبد مناف! ولم يردّه استكباره عن التصريح: ما كنت لأتابعنبيًّا من غير ثقيف[712]!! هل حسب الشاعر أنّه وكُلّ برسالة السماء يضعها حيث يشاء؟ * * * ومشت الأنبياء إلى الزهراء تعلن أنَّ أباها الداعي إلى إلّا لم يجد بالطائف أُذناً واحدةً تصفي إليه، ولا حامياً يدرأ عنه ... بل لقي كلَّ مصرةً وعداب. أفكان هذا الذي أنزلوه به امتداداً لما أنزلت به قريش؟ لكوني بالفريقيين يرميان عن يد واحدة، فالطينة من الطينة! والعجينة من العجينة! وما أحسب فاطمة إذ سمعت بعض خبر ما أصابه من ثقيف إلّا ذكرت ما أصابه من قومه، وما هو بقليل. قيل[713]: خرج الرسول إلى المسجد يوماً يصلّي بفناء الكعبة، وثمة نفر من زبانية الكفر أعداء إلّا، فما رأوه حتّى ملكهم الحنق، وفاقت بهم عزّتهم بالإثم والاستكبار، حتّى غدوا ومدورهم تغلي على فيقاد يُسمع لها؛ كالنار شهيق وزفير! وقال بعضهم لبعض: ما صبرنا لأحد كصبرنا لهذا الرجل! ثم انطلقوا إليه يتحدّونه: أنت الذي جعل الآلهة إلهاً واحداً؟ قال: «نعم». فتواثبوا عليه جميعهم، ملتفين به كالسوار، نالوه بشرٍ ممّا يندى له جبين الشرّ، وتخزى أخْس النّفوس ... اعتوروه بينهم يتقاذفونه تقاذف الكرة بالصوالج، تجاذبوا رأسه ولحيته حتّى سقط أكثر شعره، كادوا يقتلونه! وسمع أبو بكر هرجمهم، فخفّ